خطبة جمعة بعنوان

[نصيحة خير البرية بحفظ خصائصهم الدّينية}

لفضيلةِ شَيْخِنَا العلامة:
أبِيْ عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

٤ ربيع الأول ١٤٤٤ هجرية

مسجد إبراهيم بشحوح سيئون

فرغها / أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أيها الناس : اختص الله عز وجل هذه الأمة بخصائص جمة، قال عز من قائل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (77)وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)}[الحج:77،78].

هذه الآية اشتملت على عديد من خصائص هذه الأمة، الخصوصية الأولى: أن الله ناداها بالإيمان، يا أيها الذين آمنوا، وهذا نداء تشريف، نداء تضمن وصفهم بمنقبة عظيمة وهي الإيمان به، اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، فأمرهم بعد هذا النداء بالتعبد له، الركوع والسجود الذي هو تقرب إليه، وزلفى إليه ،إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، فهذه عبادة تقرب منه بقدر ما يكثر منه الإنسان ويصدق فيها ويخلص فيها يقرب من ربه أكثر،

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء، فحث عباده المؤمنين المكرمين منه بالعناية بالقربى إليه، والزلفة إليه، واعبدوا ربكم أي اخلصوا له، فإن العبادة هي التوحيد والإخلاص، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، قولا أو فعلا أو عملا ظاهرا أو باطنا، فأمرهم أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يوحدوه، وأن يفردوه، وهذا كله من حبه للمؤمنين، وهكذا وارادته الخير لهم، وعنايته بهم، فإن بقدر محبتك لمن تحب توجهه وتنصحه وتعلمه وتريد له الخير، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتّى يُحِبّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. أخرجه البخاري(13) ومسلم(45) عن أنس بن مالك رضي الله.

والله عز وجل لحبه للمؤمنين أوصاهم بوصايا عديدة، ومنها هذه العبادات التي يقربون بها إليه ليل نهار، اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، وهذا من العموم بعد الخصوص وهو حثهم على فعل الخير، الركوع، والسجود، وهكذا سائر تلك الأعمال الصالحة، كلها من فعل الخير، ولكن هذا ليجمع لهم كل خير، وافعلوا الخير، أي خير تعلمه وتتبينه افعله تفلح به، يكون سبب فلاحك ومزيد خيرك، وأمرهم بالجهاد فيه، {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} وهذا أمر عظيم وهو أنه لا يقوم دين الله إلا بالجهاد في الله حق جهاده، فلا يقوم إلا بجهاد الشيطان، والنفس الأمارة بالسوء والأعداء الجارفين لك إلى الباطل، بلسانك، بقدر مستطاعك،{ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73)}[التوبة:73].

فلا يقوم دين الإنسان إلا أن يجاهد نفسه على طاعة الله، والمجاهد من جاهد نفسه، ويجاهد الشيطان، يجاهد الشيطان حتى يكفى شر الشيطان، ويخلص عمله للرحمن، ويجاهد العدو، أي عدو يريد أن يصرفه عن دين الله يجاهده، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)}[آل عمران:200].

كل بحسبه، لا ينفك أحد صغير أو كبير ذكر أو أنثى، اي مكلف جني أو

أنسي من الأمر بالجهاد في الله،{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)}[العنكبوت:69].

جهاد لله سبحانه، وفي الله، ومن أجل الله، ولا يقوم دينك إلا أن يعلم الله صدقك أنك تجاهد نفسك لله عز وجل ومن أجله، وجاهدوا في الله حق جهاده، وهذا معنى يتضمن أن يكون الإنسان باذلا وسعه، باذلا جهده، لأنه يجاهد في الله حق جهاده، إن صلى جاهد، وإن توضأ جاهد، وإن صام جاهد، وإن حج جاهد، وإن قرأ جاهد، وإن رد على مبطل جاهد، وإن تعلم وتفقه جاهد، وهكذا حياته كلها جهاد في الله، المؤمن كله لله، {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)} [الأنعام:163].

حق جهاده، هو اجتباكم، هذه خصوصية أخرى لهذه الأمة أن الله اجتبانا، والاجتباء والاصطفاء بمعنى واحد، هو الاختيار، وتمييزك على غيرك من الكفرة والفجار، كقول الله سبحانه :{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[الزمر:9].

أنت مميز مختار، والذي لا يعلم ما اختاره الله، وكقول الله عز وجل: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)}[القلم:35،36].

وكقول الله عز وجل:{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28)}[ص:28].

فهذا قوله هو اجتباكم أي اختاركم مميزكم، هذه ميزة وخصوصية واجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرف هذه الميزة حتى يحافظ عليها، أنت مختار، أنت مميز، فلا تتنازل عن هذه الميزة حتى تسلب منها، انت محسود عليها،{مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ}[البقرة:105].

أنت مخصوص، مميز برحمة من الله سبحانه وتعالى، حرمها غيرك، والله يختص برحمته من يشاء، أنت ذو فضل من الله، والله ذو الفضل العظيم، تفضل الله عليك وأكرمك، هذه كلها تدل على خصوصيات هذه الأمة، أن الله اختصها وميزها وأكرمها وزكاها، {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (2)}[الجمعة:2].

اختصت، أمة مخصوصة، أمة مميزة، أمة مكرمة من الله سبحانه وتعالى، فعدم معرفة هذه الخصائص والميز والكرامات من الله كإنسان في عافية لا يعرف العافية حتى يصاب بالمرض فيتذكر، كإنسان كذلك في حياة لا يعرف الحياة حتى إذا أوشك على الموت ندم، أنت في عافية، واجب عليك أن تحرص على هذه المناقب تعرفها، هو اجتباكم، ومن خصائص الله عز وجل لهذه الأمة أنه لم يجعل عليها حرجا، {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، أمة سبقت كان الله عز وجل بسبب تشديدها شدد الله عليها، هذه الأمة ما جعل عليها حرج، أمة مكرمة بالتيسير من رب العالمين سبحانه وتعالى، يسر الله عليها، توبتها مقبولة بدون أن تقتل نفسها،

أمم سبقت كانوا إذا أرادوا التوبة أمرهم الله أن يقتل بعضهم ببعضا، يأخذ السكاكين والسيوف يحصد بعض حتى يموتوا،{فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ}[البقرة:54].

ونحن بمجرد ما يقول استغفر الله وأتوب إليه قبلت توبته ظاهرا وباطنا بشروطها المعروفة، هذه ميزة وخصوصية لهذه الأمة، وما جعل عليكم في الدين من حرج، {طه (1) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (2)}[طه:1،2].

الله ما أنزل القرآن على هذه الأمة على نبيها وعليها لتشقى، بل ليميزها ويكرمها، وأكمل الله عز وجل لها الدين، وأكمل وأتم بنبيها النعمة، وختم به النبوة، كما قال الله سبحانه:{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }[المائدة:3].

وما جعل عليكم في الدين من حرج، دين يسير، {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (22)}[القمر:22].

ما فيه عليك أي مشقة، خمس صلوات في اليوم والليلة، وعبادة يسيرة ليس فيها مشقة بفضل الله سبحانه وتعالى، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم:"لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مع كُلِّ صَلَاةٍ.أخرجه البخاري (887)، ومسلم (252) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا السواك المستحب ما أُمرنا أمرا جازما واجبا حتى لا يحصل مشقة أن لا يوجد المال أو لا يوجد السواك إن يوجد المال، لهذا كل ذلك من مراد الله عز وجل للتيسير لهذه الأمة والسهولة، وأن تكون أمة في دين يسير سهل، كما قال الله سبحانه:{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (28)}[النساء:26 28].

الله أردنا الخير، ووضعنا في الخير، وأصحاب الشهوات والأعداء والحساد يريدون جرفنا عن ذلك، وسلبنا هذه النعمة والله، الشيطان وجنود الشيطان، فيا معشر المسلمين اعقلوا اعقلوا، إي والله إن كلما ازداد الإنسان قوي عقل الإنسان وثبت عقله وتمكنت رزانته ودينه فهم ما هو فيه من الخير، وجانب أهل السوء والضير، جانب أعدائه وحساده، ومن يريد سلبه عن هذه النعمة، وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم، أنتم على ملة إبراهيم، اليهود يزعمون أنهم أولى الناس بإبراهيم، والنصارى، لكن الله اختصنا نحن، وأبان حقيقة الأمر أننا نحن على الملة إبراهيم، لا هم، {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)}[آل عمران:68].

هذه خصوصية لنا أننا على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقال:

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)}[آل عمران:67].

هذه خصوصية أكرمنا الله بها، نحن على ملة إبراهيم، وأولئك إلا دعاوى، دعاوى أنهم على ملة إبراهيم، نحن على ملة أبينا، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"وُلِدَ لي اللَّيلةَ غلامٌ فسمّيتُهُ باسمِ أبي إبراهيمَ" ؛أخرجه البخاري (1303) بنحوه، ومسلم (2315)،عن أنس بن مالك رضي الله.

نحن على ملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله سبحانه: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)}[البقرة:127،129]

هكذا فدعاء إبراهيم كله لهذه الأمة، وصل دعاء إبراهيم والخيرية لهذه الأمة، بعث الله فينا من يعلمنا الكتاب والحكمة ويزكينا، وهكذا هذه خصوصية عظيمة يجب معرفتها ، وهكذا هذه الأمة المسلمة هم أولى الناس ببيت الله، أولى الناس بهذه القبلة العظيمة، قال الله سبحانه: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)}[البقرة:149،150]

فهي نعمة من الله سبحانه وتعالى علينا، اختص الله عز وجل بهذه النعمة هذه الملة، كل هذا واجب شكر الله سبحانه وتعالى عليه، والحفاظ عليه على هذه المكارم العظيمة، وقال الله سبحانه وتعالى: {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} أي الله عز وجل هو الذي سمانا مسلمين من قبل ،الله ليس إبراهيم بدلالة الآية، هو

اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم، الذي اجتبانا هو الله، والذي ما جعل علينا في الدين من حرج هو الله، والذي سمانا مسلمين من قبل في الكتب في اللوح المحفوظ في الزبور كما دلت على ذلك الأدلة، أنه يكتب شقي أو سعيد في بطن أمه، فسمى هذه الأمة مسلمة في الكتاب الأول، وهكذا في الكتب المتقدمة، وبشر أهلها بهذه الملة وبهذا النبي بأدلة كثيرة، {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}[الصف:6].

وغير ذلك، فسمانا الله عز وجل مسلمين، وهذه خصوصية لهذه الأمة أننا سمانا ربنا، ربنا سمانا مسلمين، فالتزحزح عن هذه التسمية نكد والله نكد، والله نكد، تسمية على ظاهرا وباطنا يجب أن يحافظ عليها الإنسان، لا بلسان القول فقط، هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم، أي سمانا مسلمين من قبل في الكتب المقدمة وفي الكتاب الأول، وسمانا في هذا القرآن وفي هذا التنزيل وفي هذا الدين، مسلمين، {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (132)}[البقرة:132].

هكذا أمر الله سبحانه وتعالى أن الدين عند الله الإسلام،{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)}[آل عمران:85].

هذا سمانا به ربنا سبحانه، أوجبه علينا، وأكرمنا به، ميزنا به، فهذا الذي رجحه ابن كثير، ورجحه ابن جرير، واختاره ابن عباس بسند صحيح إليه، أن معنى سماكم مسلمين هو سماكم المسلمين أي الله ،وهو الذي يؤيد حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"إنّ اللّهَ أمرَ يحيى بن زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِهَا ، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بها ، وإنهُ كادَ أن يُبطئَ بها . وأنا آمركُم بخمسٍ اللّهُ أمرنِي بهنّ : السمعُ والطاعةُ والجهادُ والهجرةُ والجماعةُ ، فإنه من فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ ، فقد خلعَ ربقةَ الإسلامِ من عنقهِ إلا أن يُرَاجعَ . ومن ادّعَى دعوى الجاهليةِ ، فإنه من جَثْى جهنمَ ، فقال

رجلٌ : يا رسولَ اللهِ وإن صلّى وصامَ ؟ فقال : وإن صلّى وصامَ . فادعوا بدعْوى اللهِ الذي سماكم المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ اللهِ.؛رواه الترمذي في سننه(2863).

فهذا الحديث مفسر للآية، وعند الآية ذكر ابن كثير هذا الحديث يحتج به على تسمية الله عز وجل بهذه التسمية لنا، واختصاصه لنا بها، هو سماكم المسلمين، الذي سماكم المسلمين المؤمن سمانا الله المسلمين، سمانا الله المؤمنين عباد الله، يا لها من مكرمة وخصوصية من الله سبحانه وتعالى وله الفضل والمنة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله على توفيقه واختصاصه واجتباه، الحمد لله، ونسأله الثبات على دينه حتى نلقاه، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا يرضاه، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهدى ، أما بعد أيها الناس: ليكثر شكرنا لله سبحانه، ولنزدد حمدا وشكرا وثناء وتعظيما واجلالا لربنا سبحانه وتعالى، ومن حمدنا وشكرنا واجلالنا وتعظيمنا لربنا معرفة هذه النعمة علينا، والاختصاص لنا، إن الله عز وجل قد ميز هذه الأمة، فمن تنكب عن هذه الميزة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وتركنا عليها فإن الله أراد به شرا، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا، ولله الحكمة البالغة، فيا أيها المسلمون الحرص الحرص على هذا الخير، حافظوا عليه فإنكم باختصاص الله سبحانه وتعالى عليكم كنتم خير أمة، ما كنتم خير أمة بضخامة الأجسام، ولا بشقشقت الكلام، ولا بكثرة والمال والحطام، ولكن كنتم خير أمة بهذا الدين، بهذه الملة والاختصاص، قال الله سبحانه:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران:110].

ثم ذم أولئك الذين ما اختصوا بهذه الخصائص،:{وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)}[آل عمران:110].

مؤمنون كعبد الله بن سلام والذين وافقوا هذه الأمة على ما اختصها الله به فأنعموا بما أنعم الله عليهم به، ومن ترك هذا الخير صار شقيا، هذا هو، تأمرون بالمعروف الخيرية كاملة في هذه الأمة وبقاء الخيرية

لهم والاختصاص لهم ما داموا ماضين مستمرين جادين مجتهدين في الخيرية، تأمرون بالمعروف، والمعروف معروف عند الناس، لا تستطيع أن توضح الواضح، فالمعروف عند البر والفاجر، وبكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما اختلف عليك شيئا يسأل أهل الذكر، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، والخيرية والخصوصية ماضية لهم وهم سعداء بها ما داموا محافظين عليها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتفقه في الدين ،والحفاظ على كتاب رب العالمين، فقد قال الله سبحانه وتعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)}[آل عمران:104].

الفائزون المميزون المخصوصون أهل الفلاح من حافظ على هذه الخيرية والميزة والاختصاص، حافظ عليه بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وقوام الأمة بذلك، صلاح الأمة بذلك،{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)}[الأعراف:170].

قال الله:{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)}[البقرة:160].

اصلحوا، تاب إلى الله عز وجل وأصلح فيما بينه وبين ربه، وأصلح أيضا من استطاع اصلاحه من الناس، وبين لنفسه ولغيره، هذا هو الذي ما زال في النعمة والخصوصية من رب العالمين سبحانه وتعالى، ما تسلب عنه، {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}[الأنفال:53].

هذي سنة الله الجارية أن الخصوصية ما تزال مع الأمة ما زالوا فيها، وبها، ويصدرون عنها، إن الله عز وجل ميز هذه الأمة بعدلها وانصافها وتجردها لربها ولدينها الحق، هكذا قال الله:{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[البقرة:143].

وهل الشهود إلى العدول، الفسقة ما شهادتهم، لا تقبل إلا شهادة العدل العدل، ولهذا حتى في الرواية ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذ ولا معلى، حتى في الرواية يشترط فيها العدالة، لا تقبل رواية ولا شهادة إلا العدل، فما قبلت شهادة هذه الأمة إلا بأن الله اختصها وأكرمها حتى صارت شهيدة على جميع الأمم،

ونبيها شهيد على جميع الأمم،{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ}[البقرة:143].

قال الله:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (41)يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42)}[النساء:41،42].

خصوصية عظيمة، حتى إن نوحا عليه الصلاة والسلام المشركون اللؤماء من قومه انكروا رسالته ودعوته، لؤماء ما عرفوا المعروف ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، وبعد ذلك يجحفونه، فتأتي هذه الأمة المؤمنة المصدقة القارئة لكتاب الله، المؤمنة به، الثابتة عليه، قرأت كتاب الله وصدقت، سورة نوح وآيات كثيرة ربنا يخبر أنه بلغهم، وأنه اجتهد في إبلاغهم، فلا ينكر ذلك ولا يجحفه مؤمن، فالواجب الشهادة به، قال أولئك قال يا نوح هل بلغت قال نعم، فقال هل بلغكم ؟ قالوا: لا ، ما أتانا لك من نذير، فقال من يشهد لك؟ هو ربك أعلم، ولكن الله عز وجل أراد أن يثبت مكرمة هذه الأمة الأخيرة الوسط العدل الخيار الشهيد على الأمم ذات الخيرية والانصاف، نعم، فقال: محمد وأمته، فشهدت هذه الأمة بنبيها أن نوحا عليه الصلاة والسلام بلغ ، وكيف لا تشهد، هذه شهادة بحق بعلم بيقين، إلا من شهد بالحق وهم يعلمون، فهذه شهادة بعلم بيقين، تشكك فيه لا يجوز، بلغ البلاغ المبين، أول الرسل إلى أهل الارض، نعم، فميز الله هذه الأمة واختصها بأن تكون شهيدة على الأمة، بأنها أمة ذات عدالة، من تخلى عن هذه العدالة من تخلى عنها عن هذه العدالة عدالة الإيمان، عدالة الإسلام، عدالة

الاستقامة إلى الفسق فاته هذا الخير، جانب هذا الخير، تناكد عن الخير ذهب إلى المغضوب عليهم، هكذا، فيا أيها الناس حافظوا على هذه المنقبة العظيمة، هذه المكرمة العظيمة، إن الله سبحانه ميز هذه الأمة وجعلهم ضمن المنعم عليهم في كل ركعة وأنت تقول: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، غير اليهود غير النصارى، غير كل من غضب الله عليه، تسأل ربك الإمتياز الخصوصية أن تسير متميزا مخصوصا مكرما محافظا على خصوصية ربك لك، ممن اختصهم الله واجتباهم،{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم} ألم ترى أن الله اختصهم {مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (69)}[النساء:69].

أيها الناس: حافظوا على هذه الخصوصية بالفقه في الدين، فإن من أراد الله به خيرا فقهه في الدين، من أراد الله سيره وتسيره على هذه الخصوصية فقهه في دين الله، فهم دين الله، فهم الحق، فهم العلم، فهم من يعادي ومن يؤآخي، فهم من يحب ومن يبغض، فهم من يحبه ومن يبغضه، هكذا، عرف من يريد سلب النعمة عليه، {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}[البقرة:120].

ما السبب ؟ {مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)}[البقرة:105]

قال الله {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً}[النساء:89].

مدبر يريدك أن تدبر معه، شرير يريدك أن تهلك معه، هذا لا يريدون لك الخير، افهم عبد الله.

أيها المسلمون: اعقلوا، أن لا أقول أنتم مجانين، لكن بقدر ما يبعد الإنسان عن فهم هذا الدين وهذا الخير فإن عقله قد تلاشى بقدر بعده، ولهذا أصحاب النار يقولون يوم القيامة:{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا

كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)}[الملك:10،11].

وقد خاطب الله المؤمنين المسلمين في عديد من الآيات، بالعقول الصحيحة السليمة، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)}[العنكبوت:43].

أيها المسلمون: اعقلوا وتفهموا كتاب الله، فإن خصوصية به، ومكرمتكم به، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وعَلَّمَهُ؛أخرجه البخاري(5027) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

تعلمه علما وعملا ودعوة، ليس مجرد يتعلم قراءته، هذا حجة عليه، القرآن حجة لك أو عليك مالم يعمل به،{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [فصلت:6].

وعلمه أيضا ، ودعا إليه، {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ}[النحل:125].

قال الله:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)}[فصلت:33].

وقال الله :{قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ }[يوسف:108].

ادعو بالقرآن، ادعو بالسنة، انشر ذلك، علم ذلك، ما تزال هذه الأمة ما حافظة على السنة، ما ثبتت على السنة، مالم تتنكر لها، مالم تتزحزح عنها، مالم تبعد عنها بقول القرآنيين الفسقة الكفرة، فإن من أنكر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد فقد كفر بالله، لأن السنة وحي من الله سبحانه وتعالى،{وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [النساء:113]

الحكمة هنا بإجماع أهل العلم السنة،

منزلة من رب العالمين، {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ

عَظِيمًا (113)}

قال الله:{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ } [الأحزاب:34].

والذي يتلى من الحكمة يعني السنة، وإن كانت الحكمة تأتي بفضل الله عز وجل منبعثة عن القرآن والسنة بوضع الأمور في مواضعها، كما قال الله عز وجل:{وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ}[البقرة:269].

والذي يؤتيه الله الحكمة هو الذي يعقل القرآن والسنة ويعمل بها، بدليل {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)} [العنكبوت:43].

وبدليل {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ }[النساء:83].

فعُلم أن الذي يضع الأمور في مواضعها هم أهل الكتاب والحكمة أي السنة في نص القرآن ، وهذا لتعلموا أن هذا الإمتياز مخصوص بهذه المكارم العظيمة.

أيها الناس: إن من غفل عن ذلك فقد غفل عن حياته وعن روحه،{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125)قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (126)}[طه:124،126].

قال الله:{وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52)}[الشورى:52]

أسأل الله جل وعلا أن يمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.